

## الدولة الديمقراطية التقدمية في فلسطين

الدكتور صبري عبدالله حلاوة

### الطبيعة الطبقيّة للحركة الصهيونية وعمليات استعمارها الاستيطاني في فلسطين

لكي يصبح بالإمكان فهم المحتوى التقدمي لشعار الدولة الديمقراطية ينبغي أن نشير هنا إلى بعض الحقائق الموضوعية المتعلقة بالطابع الاستعماري الاستيطاني للوجود الصهيوني في فلسطين ودوافعه ، والأسس العنصرية التي يركز عليها في ترسيخ دعائمه على حساب الحقوق الوطنية والقومية للشعب العربي الفلسطيني . كما ينبغي التنبؤ بالدور الذي يضطلع به هذا الوجود في الدفاع عن مجمل النظام الإمبريالي العالمي واعاثة مسيرة حركة التحرر العربية .

إن توضيح واقع سياسي ما يعني إجراء تحليل علمي لأسباب نشوئه وحركة تطوره وشروط اضمحلاله ، وإعطاء شكله الاجتماعي المعقد صورة واقعية مبسطة . أي نقله من حالة التعقيد إلى حالة التبسيط دون تشويبه أو ابتذاله ، الأمر الذي يخلق إمكانية رؤيته موضوعياً ويساعد على تحديد ترابط مختلف أجزائه ضمن إطارها العام المتحرك كما أن تجريد هذا الواقع من خصائصه الذاتية وإرجاعها إلى أصولها الاجتماعية في حقبة تاريخية محددة ، يضمن الابتعاد عن الشكلية في التحليل ، ويجنب الوقوع في الأوهام الطبواوية حول هذا الواقع .

فالمعرفة العلمية لنشوء وتطور عملية الاستعمار الاستيطاني الصهيوني في فلسطين لا يمكن تحصيلها دون الفهم الموضوعي للتغيرات النوعية العميقة والمهائلة التي طرأت على اللبنة التحتية والفوقية للمجتمعات الأوروبية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، حيث تكونت الشروط لنمو جذور الحركة الصهيونية العالمية .

إن انتصار الرأسمالية على الاقطاع في أوروبا والتطور اللاحق السريع للصناعة والعلوم الطبيعية والاجتماعية ، ونشوء طبقة البروليتاريا وتساعد كفاحتها الاقتصادي والسياسي قد خلق ظروفاً جديدة أدت إلى نشوء ظواهر اجتماعية وسياسية متعددة من بينها اندثار حواجز الحيثو اليهودي في أوروبا الذي تناسب وجوده مع طبيعة تركيب المجتمع الاقطاعي القائم على الاقتصاد المبعثر . كما تسارعت عملية اندماج اليهود مع سكان البلدان التي يعيشون فيها ، حيث ترتب على عملية الاندماج هذه رفع وصاية الفئات المسيطرة من كهنة وتجار وأصحاب مصانع وبنوك يهود عن جماهير اليهود الكادحة التي اندمجت مع غيرها من السكان تحت تأثير أسلوب الانتاج الجديد . وقد كتب فلاديمير ليتش لينين عن هذه الظاهرة قائلاً : « في أوروبا كلها كان سقوط القرون الوسطى وتطور الحرية السياسية يسيران جنباً إلى جنب مع رفع الوصاية السياسية عن اليهود ومع انتقالهم من لغتهم الخاصة إلى لغة الشعب الذي يعيشون بين ظهرانيه ومع التقدم الاكيد مع السكان المحيطين بهم » (١) .

إن التطور الاقتصادي اللاحق للرأسمالية في اتجاه تركيز الانتاج ورأس المال في أيدي الاحتكارات الضخمة قد أثر بشدة على السياستين الداخلية والخارجية للدول الرأسمالية